ى القصص للأطفال

الصبر كنز لا يفنى

كَانَتْ « فَاطِمَةُ » فَتَاةً طَيِّبَةَ القَلْبِ، تَعِيشُ مَعَ زَوْجَةِ أَبِيهَا التِي تُعَامِلُهَا بِقَسْوَةٍ، وَتُفَضِّلُ اِبْنَتَهَا « عَائِشَةَ » عَلَيْهَا.

وَكَانَتْ « فَاطِمَةُ » تَقْضِي يَوْمَهَا كُلَّهُ فِي الكَنْسِ وَالغَسْلِ وَالطَّبْخِ، وَلاَ تَعْرِفُ طَعْمَ الرَّاحَةِ إلاَّ حِينَ تَأْوِي إِلَى فِرَاشِهَا فِي اللَّيْلِ... أَمَّا أُخْتُهَا « عَائِشَةَ » فَلاَ عَمَلَ لَهَا غَيْرَ الجُلُوسِ إِلَى المِرْآةِ أَوْ قَضَاءِ يَوْمِهَا فِي العَبَثِ وَاللَّهْوِ، أَوْ نَائِمَةً مُسْتَرِيحَةً.

فِي قَاعِ البِئْرِ...

وَأَفَاقَتْ حِينَ مَسَّ المَاءُ وَجْهَهَا، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَلْبَثْ أَنْ رَأَتْ نَفْسَهَا فِي حَدِيقَةٍ غَنَّاءَ، فَتَعَجَّبَتْ لِمَا رَأَتْ، وَأَخَذَتْ تَسِيرُ فِي الحَدِيقَةِ، وَهْيَ غَيْرُ مُصَدِّقَةٍ لِمَا تَرَاهُ عَيْنَاهَا...

وَلَمْ تَزَلْ تَمْشِي بَيْنَ الأَشْجَارِ، حَتَّى اِنْتَهَتْ إِلَى مَكَانٍ مُسْتَقِيمٍ، يُؤَدِّي إِلَى كُوخٍ صَغِيرٍ، قَدْ جَلَسَتْ إِلَى بَابِهِ عَجُوزٌ بَيْضَاءُ الشَّعْرِ، بَاسِمَةُ الثَّغْرِ، لاَمِعَةُ العَيْنَيْنِ، فَازْدَادَتْ دَهْشَةُ «فَاطِمَةَ»، ثُمَّ هَمَّتْ أَنْ تَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ أَتَتْ، وَلَكِنَّ العَجُوزَ نَادَتْهَا قَائِلَةً: تَعَالَيْ يَا « فَاطِمَةُ »، لاَ تَخَافِي شَيْئًا !...

فَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا الفَتَاةُ، ثُمَّ حَيَّتْهَا بِصَوْتٍ خَافِتٍ، فَنَهَضَتِ العَجُوزُ مِنْ مَجْلِسِهَا، وَرَبَتَتْ عَلَى كَتِفِهَا وَهِيَ تَقُولُ: إِنَّنِي فِي حَاجَةٍ إِلَيْكِ أَيَّتُهَا الفَتَاةُ اللَّطِيفَةُ، فَهَلْ لَكِ أَنْ تَعِيشِي مَعِي فِي هَذَا الكُوخِ، تُعِدِّينَ لِي طَعَامِي، وَتُؤْنِسِينَ وَحْدَتِي ؟ إِنَّكِ إِنْ رَضِيتِ بِهَذَا يَا ابْنَتِي، ضَمِنْتِ لِنَفْسِكِ سَعَادَةً لَنْ تَظْفَرِي بِمِثْلِهَا فِي حَيَاتِكِ عَلَى الأَرْضِ !

أَجَابَتْ « فَاطِمَةُ » دَعْوَةَ العَجُوزِ، وَعَاشَتْ مَعَهَا فِي ذَلِكَ الكُوخِ الصَّغِيرِ، تَخْدُمُهَا، وَتُؤْنِسُ وَحْدَتَهَا، وَتُعِدُّ لَهَا الطَّعَامَ، وَتُهَيِّئُ لَهَا الفِرَاشَ، وَالعَجُوزُ تُكْرِمُهَا، وَتَبَرُّهَا، وَتَعْطِفُ عَلَيْهَا...

وَلَكِنَّ « فَاطِمَةَ » لَمْ تَلْبَثْ أَنْ اِشْتَاقَتْ إِلَى دَارِهَا، وَإِلَى أَهْلِهَا، وَتَمَنَّتْ أَنْ تَعُودَ إِلَى سَطْحِ الأَرْضِ، وَأَحَسَّتِ العَجُوزُ بِمَا فِي نَفْسِهَا، فَقَالَتْ لَهَا: إِنْ كُنْتِ يَا اِبْنَتِي تُرِيدِينَ العَوْدَةَ، فَأَعِدِّي نَفْسَكِ لأَدُلَّكِ عَلَى الطَّرِيقِ !...

ثُمَّ فَتَحَتِ العَجُوزُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الكُوخِ، فَإِذَا أَكْدَاسٌ مِنَ الذَّهَبِ البَرَّاقِ وَالجَوَاهِرِ الثَّمِينَةِ، فَقَالَتِ العَجُوزُ: خُذِي يَا « فَاطِمَةُ » مَا يَكْفِيكِ، فَأَنْتِ فَتَاةٌ طَيِّبَةٌ، وَمُطِيعَةٌ !

ثُمَّ دَفَعَتْ إِلَيْهَا العَجُوزُ الجَرَّةَ التِي كَانَتْ قَدْ سَقَطَتْ مِنْهَا، فَمَلأَتْهَا الفَتَاةُ ذَهَبًا وَجَوَاهِرَ، وَأَشَارَتْ إِلَى بَابٍ مُقْفَلٍ مِنْ أَبْوَابِ الكُوخِ،

ثُمَّ قَالَتْ لَهَا: اِفْتَحِي هَذَا البَابَ، تَجِدِي الطَّرِيقَ الذِي يُوصِلُكِ إِلَى دَارِكِ.

فَلَمَّا فَتَحَتْهُ، رَأَتْ نَفْسَهَا بِالقُرْبِ مِنْ دَارِهَا، فَأَسْرَعَتْ إِلَى أُخْتِهَا وَزَوْجَةِ أَبِيهَا، تَنْثُرُ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا مَا فِي الجَرَّةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالجَوَاهِرِ، فَقَالَتْ لَهَا زَوْجَةُ أَبِيهَا، وَهِيَ زَائِغَةُ العَيْنَيْنِ: مِنْ أَيْنَ لَكِ كُلُّ هَذَا يَا «فَاطِمَةُ»؟

فَقَصَّتْ «فَاطِمَةُ» عَلَيْهَا القِصَّةَ، وَأَخْبَرَتْهَا بِكُلِّ مَا كَانَ، فَقَالَتْ زَوْجَةُ أَبِيهَا: مَا كَانَ أَوْلَاكِ يَا «عَائِشَةَ» بِمِثْلِ هَذَا؟

ثُمَّ أَسْرَعَتْ فَوَضَعَتِ الجَرَّةَ عَلَى رَأْسِ «عَائِشَةَ» وَقَالَتْ لَهَا: قَدْ سَمِعْتِ مِنْ «فَاطِمَةَ»

وَظَلَّتْ تَعْمَلُ طُولَ اليَوْمِ الأَوَّلِ بِلاَ تَوَانٍ، وَلَكِنَّهَا فِي اليَوْمِ الثَّانِي بَدَأَتْ تَشْعُرُ بِالمَلَلِ، لأَنَّهَا لَمْ تَتَعَوَّدْ مِنْ قَبْلُ تَدْبِيرَ شُؤُونِ المَنْزِلِ، فَلَمَّا كَانَ اليَوْمُ الثَالِثُ، كَانَ الضَّيقُ وَالهَمُّ قَدِ اِسْتَوْلَيَا عَلَيْهَا، فَلَمْ تَجِدْ فِي نَفْسِهَا خِفَّةً لِلْعَمَلِ، وَوَدَّتْ لَوْ تَقْضِي النَّهَارَ كُلَّهُ فِي الفِرَاشِ نَائِمَةً، فَقَالَتْ لَهَا العَجُوزُ : يَبْدُو لِي يَا فَتَاةُ أَنَّكِ قَدِ اِشْتَقْتِ إِلَى أُمِّكِ، فَإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ فَأَعِدِّي نَفْسَكِ، ثُمَّ اِفْتَحِي هَذَا البَابَ لِتَرَى ثَمَرَةَ عَمَلَكِ...

فَفَرِحَتْ « عَائِشَةُ » بِقُرْبِ حُصُولِهَا عَلَى الذَّهَبِ، وَأَسْرَعَتْ إِلَى البَابِ الذِي أَشَارَتْ إِلَيْهِ

العَجُوزُ، وَهْيَ تَحْمِلُ الجَرَّةَ عَلَى رَأْسِهَا، لِتَمْلأَهَا ذَهَبًا وَجَوَاهِرَ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ وَرَاءَ البَابِ إِلاَّ أَكْوَامًا مِنَ الوَحَلِ، وَأَسْرَابًا مِنَ الحَشَرَاتِ، وَأَنْوَاعًا شَتَّى مِنْ دَوَابِّ الأَرْضِ، فَصَرَخَتِ الفَتَاةُ مَرْعُوبَةً، وَأَخَذَتْ تَجْرِي فِي الطَّرِيقِ المَفْتُوحِ أَمَامَهَا، وَالوَحْلُ يُجَاذِبُ رِجْلَيْهَا، فَتَقَعُ ثُمَّ تَقُومُ، ثُمَّ تَقَعُ وَتَقُومُ، وَالحَشَرَاتُ وَالدَّوَابُّ تَزْحَفُ عَلَيْهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى أُمِّهَا وَقَدْ تَلَوَّثَتْ ثِيَابُهَا بِالطِّينِ، وَامْتَلأَتْ جَرَّتُهَا وَجَيْبُهَا بِالحَشَرَاتِ وَدَوَابِّ الأَرْضِ...

العَجُوزُ، وَهْيَ تَحْمِلُ الجَرَّةَ عَلَى رَأْسِهَا، لِتَمْلأَهَا
ذَهَبًا وَجَوَاهِرَ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَجِدْ وَرَاءَ البَابِ إِلاَّ
أَكْوَامًا مِنَ الوَحَلِ، وَأَسْرَابًا مِنَ الحَشَرَاتِ،
وَأَنْوَاعًا شَتَّى مِنْ دَوَابِّ الأَرْضِ، فَصَرَخَتِ
الفَتَاةُ مَرْعُوبَةً، وَأَخَذَتْ تَجْرِي فِي الطَّرِيقِ
المَفْتُوحِ أَمَامَهَا، وَالوَحْلُ يُجَاذِبُ رِجْلَيْهَا، فَتَقَعُ
ثُمَّ تَقُومُ، ثُمَّ تَقَعُ وَتَقُومُ، وَالحَشَرَاتُ وَالدَّوَابُّ
تَزْحَفُ عَلَيْهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى أُمِّهَا وَقَدْ
تَلَوَّثَتْ ثِيَابُهَا بِالطِّينِ، وَامْتَلأَتْ جَرَّتُهَا وَجَيْبُهَا
بِالحَشَرَاتِ وَدَوَابِّ الأَرْضِ...